المقياس: علم الإجرام

المستوى: السنة الأولى ماستر قانون جنائي وعلوم جنائية

الدكتورة: عائشة عبد الحميد

المحاضرة رقم 04:

المحور الرابع- النظريات العلمية في تفسير الظاهرة الإجرامية

تعددت آراء العلماء في تفسير أسباب الظاهرة الإجرامية فساروا في ثلاث اتجاهات (فردي – اجتماعي – مختلط).

- **الاتجاه الفردي:** يفسر الجريمة استنادا للعوامل الداخلية تتصل بشخص المجرم وتتركز في وجود خلل عضوي أو نفسي (بايولوجي) يعاني منه المجرم هو الذي دفعه لارتكاب الجريمة.
- **الاتجاه الاجتماعي:** ويرجع الجريمة إلى وجود خلل في المجتمع الخارجي المحيط بالمجرم فيدفعه لارتكاب الجريمة سواء تعلق الخلل بالبيئة الاجتماعية للفرد أم البيئة الاقتصادية أم الثقافية ...الخ.
- **الاتجاه المختلط:** نشأ هذا الاتجاه الانتقادات التي وجهت للاتجاهين السابقين لان كل منهما أهمل العوامل التي يهتم بها الطرف الآخر لتفسير الظاهرة الإجرامية فجاء هذا الاتجاه ليجمع بين العوامل الفردية والاجتماعية على أساس أن الجريمة تقع نتيجة تفاعل النوعين السابقين من العوامل.

وعليه سنتناول أهم النظريات العلمية التي قيلت بشأن تفسير الظاهرة الإجرامية بالتفصيل التالي:

أولا- التفسير البيولوجي للظاهرة الإجرامية:

يشتمل هذا التفسير على عدد من النظريات التي اهتمت بدراسة المجرم من الناحية التكوينية أي (الناحية الجسمانية) وسنتناول في هذا التفسير ثلاث نظريات وهي:

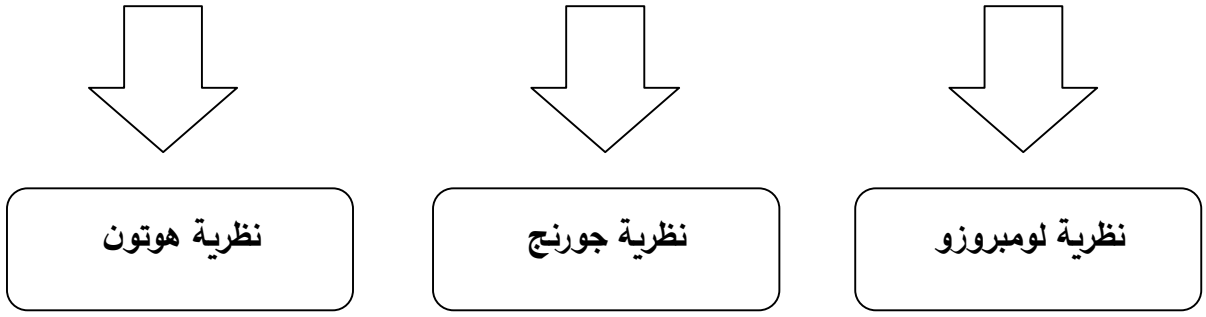

1. نظرية لومبروزو:

بعد لومبروزو أول من وضع النظرية البيولوجية والنفسية لتفسير السلوك الإجرامي، ودارت نظريته حول فكرة أساسية هي أن المجرم هو نوع معين من البشر يتسم بصفات عضوية معينة وسمات نفسية يرتد بها إلى الإنسان الأول والمخلوقات البدائية.

وقد كان لومبروزو طبيباً في الجيش الإيطالي ثم أصبح أستاذا للطب الشرعي والعقلي. وقد أتاح له عمله أن يقوم بفحص عدد من الجنود والضباط المنحرفين والأسوياء معا، فخلص بعدها إلى وجود صفات تتوافر لدى أفراد الفئة الأولى دون الثانية كما قام بتشريح جثث كثير من المجرمين وخلص إلى وجود قاسم مشترك من الخصائص يجمع بينهم، فلاحظ انتشار الرسوم قبيحة والوشم على أجسام الجنود المنحرفين ووجود الشذوذ البدني لبعض المجرمين الذين اقترفوا جرائم متسمة بالعنف والقسوة، فتكونت لديه القناعة بوجود نموذج للإنسان المجرم بطبيعته أو بالفطرة، وهو الشخص الذي ترشحه منذ ولادته خصائص بيولوجية معينة لأن يصبح مجرما، وذهب إلى أن المجرم يتصف ببعض مظاهر الشذوذ في تكوينه الجسماني وقد أطلق عليها **(علامات الرجعة)**، لأنها تدل على عدم انسجامه ورجوعه إلى الإنسان البدائي الأول، وأن هذه العلامات الإجرامية التي يتميز بها هذا المجرم هي نفس الخصائص البيولوجية التي

يتصف بها الإنسان البدائي، واثبت من خلال دراسته أثر الطبيعة الوراثية في **تكوين الشخصية الإجرامية لدى المجرمين إذا توافرت الظروف المحيطة به والتي تدفعه لارتكاب الجريمة.**

وقد قسم لومبروزو المجرمين إلى خمس فئات وهي:

أ. **المجرم بالفطرة أو بالميلاد:** تعد هذه الفئة محور نظرية لومبروزو إذ يرى في هذا المجرم بذرة الإجرام الأولى، وضرورة إبعاد هذه الفئة من المجرمين عن المجتمع بشكل نهائي سواء إيداعه في مكان نائي أو احتجازه بشكل مؤبد أو إتباع سياسة العزل في مكان ما، بل من الممكن إعدامه عن الحياة إذا اقتضت الضرورة ذلك، ويضع لومبروزو لهذا المجرم ملامح أهمها:

❖ **الصفات ((العضوية)):**

- عدم انتظام الجمجمة وصغر حجمها.
- شذوذ في حجم الأذنين.
- ضخامة في حجم الشفتين وبروزهما.
- بروز عظام الوجنتين وضخامة أبعاد الفك.
- عدم تشابه نصفي الوجه طول.
- الطول المفرط للذراعين.
- غزارة شعر الرأس والجسم وجفافهما.

❖ **الصفات ((النفسية)):**

- القسوة والمزاج العنيف وحب للشر.
- الميول إلى الوشم وعدم الخوف من الألم.
- اللامبالاة وانعدام الشعور بتأنيب الضمير والحياء.

ب. **المجرم المجنون:** هو المجرم المصاب بجنون يصل إلى حالة خطرة تهدد المجتمع فالجنون حالة سابقة على خطورته مما يفقده ملكة التمييز بين الخير والشر ويعتبر المجرم المجنون مريض يحتاج إلى علاج من خلال وضعه في مصح أو مأوى علاجي يتم إعداده لهذا الغرض لمنع ذلك المجرم من تهديد المجتمع وإصابته بالضرر.

ويقسم لومبروزو هذا النوع من المجرمين إلى ثلاثة أصناف:

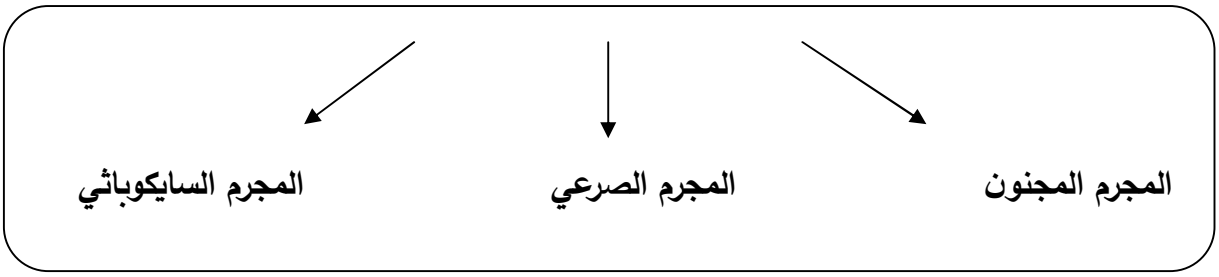

- **المجرم المجنون:** هو الشخص المصاب بنقص في عقله، وتدخل ضمن هذه الطائفة حالات انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) وجنون العقائد الوهمية (البرانويا).
- **المجرم الصرعي:** هو شخص أصيب بالصرع عن طريق الوراثة فدفعه ذلك الصرع إلى ارتكاب الجريمة.
- **المجرم السايكوباثي:** وهو الشخص المصاب باضطرابات سلوكية نفسية أو شذوذ يصيب ميوله الداخلية فيصعب عليه التحكم بغرائزه فيصبح من الصعب عليه التكيف مع المجتمع وإتباع السلوك السوي وبذلك يسهل انزلاقه نحو الجريمة، ويجمع بينه وبين المجرم بالميلاد سمة مشتركة وهي الميل الداخلي للإجرام لضعف القوة المانعة من الإجرام.

ج. **المجرم بالعاطفة:** يرجع سبب ارتكاب هذا الشخص للجريمة أسباب مثل الغيرة والدفاع عن الشرف ويتسم بحساسية مفرطة وانفعال سريع فيتأثر ويندفع نحو ارتكاب الجريمة دون سبق إصرار فيشعر بالندم بعد ذلك، ويندرج هذا النوع تحت مرتكبو جرائم السب والقذف والاعتداء على الأشخاص والجرائم السياسية. ويرى لومبروزو عدم إخضاعه العقوبة قد تفسده وتجعل منه مجرماً بالعادة.

د. **المجرم بالعادة:** وهو المجرم الذي يكتسب الإجرام من محيطه ويعتاد على ارتكاب الجرائم بتأثير الظروف الاجتماعية، والصفة الغالبة لهذه الجرائم جرائم الاعتداء على الأموال لذا ينبغي مراقبة هذا المجرم وتوجيهه وإرشاده ومحاولة توفير عمل يناسب قدراته الذهنية والبدنية وإذا لم يتوانى عن عادته في ارتكاب الجريمة يفضل عزله عن المجتمع ليؤمن شره.

هـ. **المجرم بالصدفة:** هو الشخص الذي لا يتوفر بداخله الميل الأصيل للإجرام، إلا أنه يتميز بضعف الوازع الخلقي بحيث يتأثر بسرعة بالمتغيرات الخارجية فيعجز عن تقدير نتائج أعماله، وتصرفاته، لذا يرتكب الجريمة بدافع حب الظهور أو التقليد والجزاء المناسب لمثل هؤلاء المجرمين لا يتحقق بتطبيق العقوبة لأنها يمكن أن تؤثر في سلوكه من خلال اختلاطه بغيره من المجرمين، ويفضل إبعاده عن محيطه وإبداعه في مجمعات زراعية أو صناعية لمدة زمنية غير محددة، تكون مرتبطة بتحسن حالته مع إلزامه بتعويض الضرر الذي أحدثه.

2. تقييم نظرية لومبروزو:

✓ **المزايا:**

1. وضع لومبروزو أسلوبا جديداً في دراسة المجرم من الناحية التكوينية وربطها بالعوامل الداخلية التي دفعته لارتكاب الجريمة.
2. فتحت الطريق أمام البحوث والدراسات التجريبية التي تتعلق بالظاهرة الإجرامية.
3. تعد هذه النظرية محور الدراسات الأولى للمظاهر العضوية والنفسية للإنسان المجرم.
4. اتبعت نظرية لومبروزو أسلوب المقارنة الإحصائية بين المجرمين.
5. أسست أسلوبا جديداً آنذاك من حيث المنهج والصياغة، فمن حيث المنهج كانت أولى النظريات التي استخدمت أساليب المنهج العلمي التجريبي من العلوم الطبيعية وربطها بالعلوم الجنائية ، أما من حيث الصياغة فقد استطاعت أن تذيب الكثير من الآراء القديمة للعلماء والباحثين الذين سبقوا لومبروزو، فقد قام بجمع هذه الآراء والأبحاث وأعاد صياغتها بأسلوب جديد وربطها بتجربته في دراسة الظاهرة الإجرامية واستخلاص مجموعة من الاستنتاجات.

✓ **الانتقادات:**

- **من حيث المنهج العلمي للنظرية:**

1. اقتصرت النظرية في تفسيرها للسلوك الإجرامي على دراسة الناحية التكوينية للمجرمين وأهملت غير المجرمين، إذ أن أسلوب المقارنة الصحيحة يتطلب دراسة الفئتين معاً.
2. الأساس الذي قامت عليه النظرية هو الفحص والتشريح إلا أنه لم يثبت من الناحية العلمية صدق النظرية بهذا الصدد، إذ لم تظهر العلامات التي إدعى لومبروزو إنها علامات تميز المجرمين دون سواهم رغم الفحص والتشريح الذي شمل آلاف الأجساد والجثث من بعده.
3. إن الخصائص البيولوجية والنفسية التي حددها لومبروزو والتي اعتبرها أساساً لتمييز المجرم عن غيره، توجب معاملة هذا الإنسان معاملة المجرمين حتى وإن لم يقترف السلوك الإجرامي، وإن مثل هذا الرأي لا يمكن الأخذ به وذلك لصعوبة المعرفة بالنفس الإنسانية، إذ إنه اعتمد على فئات قليلة من المجتمع وهي شاذة بحد ذاتها وجعلها محوراً وأساس لنظريته وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها.

- **من حيث الآراء التي اعتمدتها النظرية:**

1. لم يثبت علميا توافر علامات الرجعة أو الارتداد إلى الإنسان البدائي وما يصاحبها من ميل إلى اقتراف الجريمة.
2. لم يثبت علمياً توافر علامات الرجعة أو الارتداد لدى الإنسان البدائي وما يصاحبها من ميل طبيعي إلى اقتراف الجريمة أي أنها استندت إلى فكرة الجبرية في إسناد المسؤولية الجزائية أي أن الإنسان مجبراً على اختبار سلوكياته وكان الأجدر أن تتبنى النظرية مذهب الإرادة الحرة لأن الإنسان خلق بإرادة حرة.
3. لا يمكن الأخذ بوراثية الإجرام وما يترتب على هذا الرأي من نتائج وقد استنبطنا ذلك من قوله تعالى في سورة الشمس **(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)**. هذا يدل على إن الإنسان يمكن أن ينهج منهج الخير وأن ينتهج منهج الشر سواء أكان سلوكه فطرياً أو مكتسباً، لذا فإن من غير المقبول علمياً ومنطقياً القول بوجود مجرم بالفطرة أو بالولادة وهو الشخص الذي يولد وفي نفسه بذرة الإجرام فعلمياً لم يثبت حتى الآن قابلية الصبغات الوراثية على نقل خصائص إجرامية أو سلوك منحرف من السلف إلى الخلف لأن السلوك لا يمكن أن يورث.